

## أسلوبية الخطاب التعليمي في القرآن الكريم - بعض سور جزء المجادلة أمودجا

أ.د.م السيد محمد سالم

كلية اللغات - جامعة المدينة العالمية ماليزيا  
[elsayed.salem@lms.mediun.edu.my](mailto:elsayed.salem@lms.mediun.edu.my)

أ. د.م رجب إبراهيم أحمد عوض

كلية اللغة العربية جامعة السلطان عبد الحلیم معظم شاه الإسلامية العالمية  
[dr.ragabibrahim@gmail.com](mailto:dr.ragabibrahim@gmail.com)

أ.د.م عبد الواسع إسحاق نصر الدين

كلية اللغات - جامعة المدينة العالمية ماليزيا  
[Abdul.wasiu@mediun.edu.my](mailto:Abdul.wasiu@mediun.edu.my)

هذا كله إلى الوقوف متدبرين وسائل القرآن التربوية في خطابه التعليمي محاولا تحليل أسلوبه - مستعينين بالمنهج الأسلوبي التحليلي - في أحد أجزاء القرآن الكريم: وهو الجزء السابع والعشرون (المجادلة)؛ حيث اشتمل الجزء على أوامر ونواه، وحض وكف، وطمع وخوف، وإجبار وتخيير، ووعيد وتذكير، ومثانٍ، ومتشابهات، وأمثلة؛ لتشكيل في النهاية منهجا أسلوبيا سلوكيا متكاملًا للخطاب التعليمي ووسائله وغاياته. كلمات مفتاحية: أسلوبية - خطاب - تعليمي - - غايات

### ABSTRACT

Allah- Glory be to Him - sent messengers, and He sent down books to teach His creation the truth of their existence, and its consequences, so they worship Him, they do not associate anything with Him, and they do not deviate from the blink of an eye from God's righteous approach. The Holy Qur'an comes as the final book of the final prophet, including the means of

### ملخص البحث

أرسل الله - سبحانه وتعالى- الرسل، وأنزل الكتب ليُعلم خلقه حقيقة وجودهم، وتبعاته، فيعبده لا يشركون به شيئاً، ولا يجحدون طرفة عين عن منهج الله القويم. ويأتي القرآن الكريم بوصفه الكتاب الخاتم للنبي الخاتم، مشتملاً على وسائل التزكية، وأدوات التربية، ومنهجا التقويم، الذي من خلاله يستطيع المسلم أن يدرك سر وجوده، ويعرف كنه حياته، فتتسق فطرته مع المنظومة الكونية للمخلوقات الأخرى التي تسبح ربها بالعشي والإبكار. ومن هنا انتشرت في طول القرآن وعرضه آياته التربوية تحض المسلم على الخير، وأخرى تحذره من مغبة الشر، آيات تطمئنه ليقبل على ربه، وآيات تخيفه ليلزم مع خالقه حده. وآيات تردعه حين تغلب عليه شقوته فيقف أمام أوامر ربه معانداً مكابراً، وآيات تصعقه حين يفعل ذلك فيرتد خاسئاً صاغراً. ولقد دعانا

رسالته التعليمية مع مراعاة مستويات المتلقين، ومتناسبا مع الفضاءات الخطابية التعليمية المتنوعة والمتعددة.

وكيف لا يكون كذلك، وهو منهج رباني قويم، أنزله الله - عز وجل - لتستقيم به حياتنا، وتهددي به نفوسنا.

بيد أنه يتحتم علينا أن نعلم أن القرآن الكريم إنما نزل في قوم ليس لهم من حظ الحضارة المادية شيء، وإنما حضارتهم لغتهم، عاشوا لها وبها، فبها يتسامون، وفي فنونها الشعرية والنثرية يتبارون، عشقوها سفرا وحضرا، وأجادوا فيها شعرا ونثرا، حتى إذا جاء القرآن ببيانه، فغرت أفواههم، وتوقفت ألسنتهم، وتضاءل بياضهم ولم يك قط يعيهم بيان!

هذا، ويأتي الخطاب التعليمي في القرآن بما يحمله من أساليب متعددة، ووسائل متنوعة؛ ليحقق غايات مثلى، وأهدافا كبرى متخذا لذلك طرائق قددا.

ويقف البحث عند ملامح الخطاب التعليمي والتربوي: أسلوبه ووسائله وغاياته في الجزء الثامن والعشرين من القرآن الكريم، مستظهرا لمنهجية القرآن الإصلاحية التي اتخذت من إقامة المجتمع المدني في المدينة المنورة إقامة سوية هدفا لها، وسعت لرأب أي صدع أخلاقي تربوي في جدار هذا المجتمع.

#### أهمية البحث

يكتسب البحث أهمية من عدة أوجه وبعض نقاط أهمها:

1- علاقة الموضوع بالقرآن الكريم وخطابه كما هو

واضح من العنوان وهذا ولا شك يمنحه شرفا ورفعة.

2- يكشف الموضوع عن جانب حدائثي في

الدراسات القرآنية في دراسته للخطاب التعليمي وأسلوبه ووسائله في القرآن الكريم، وهذا النوع من الدراسة حري أن تعنى بها المراكز البحثية المتخصصة.

praise, the tools of education, and the method of evaluation, through which the Muslim can realize the secret of his existence and know the essence of his life, so that his instinct is consistent with the cosmic system of other creatures who praise their Lord through the first time and the first. Hence the length and breadth of the Qur'an spread through its educational verses urging the Muslim to do good, and others that warn him against the consequences of evil, verses that reassure him to accept his Lord, and verses that scare him so that he should be bound with his Creator. And signs that deter him when he is overcome by his chastity, so he stands before the orders of his Lord, stubborn and arrogant, and signs that shock him when he does that, and he turns away a minor loser. And all this called us to stand by considering the educational methods of the Qur'an in its educational discourse, trying to analyze its method - using the analytical method - in one of the parts of the Holy Qur'an: which is the twenty-seventh part (the argument); Where the part included commands and intent, exhortation and cessation, greed and fear, compulsion and choice, promises and reminders, secondments, similarities, and proverbs. In the end, it constitutes an integrated behavioral approach to educational discourse, its means and goals.

**Keywords: Stylistic - discourse - educational - methods - goals**

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، وصلاة وسلاما على رسولنا الكريم الذي بلغ مراد الله من خلقه ولم يجد في ذلك حرجا.. أما بعد  
فإن من لديه أثره من بلاغة وحسن تذوق، ودربة بأساليب العربية يستطيع أن يدرك أن للقرآن منهجه الخاص في عرض

- 3- أن يكون هذا البحث حلقة من حلقات سلسلة الدراسات القرآنية الأسلوبية.
- 4- معرفة المنهج القرآني في التربية والتقويم من خلال نموذج العهد المدني ومجتمع المدينة المنورة.
- 5- التأكيد على أن الدراسات القرآنية من الممكن أن تخرج عن نمطية أنواعها إلى رحاب أنواع جديدة وفق مناهج حديثة.

#### أولاً: ارتباط البلاغة بالقرآن الكريم

والحقيقة أن البلاغة ارتبطت بالقرآن الكريم منذ الوهلة الأولى لنشأتها بوصفها الطريق لكشف إعجازه، وفهم مراميه، ودافعا للكتابة والتأليف والتصنيف. وما تصانيف البلاغة الأولى بعبادة عنا كتصنيف أبي عبيدة معمر بن المثنى ومصنفه "مجاز القرآن"، وابن قتيبة ومصنفه "تأويل مشكل القرآن" وما كانت هذه المحاولات إلا لكشف جماليات النص القرآني الذي نزل بلغتهم التي كانوا عليها.

وعلى هذا استقر دور البلاغة العربية في دراسة أسلوب القرآن الكريم، وانحصرت علومها في محاولة فهم إعجازه، فكانوا كما قال ابن خلدون في مقدمته: "واعلم أن ثمرة هذا الفن إنما هي في فهم الإعجاز من القرآن؛ لأن إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة هي أعلى مراتب الكلام مع الكمال"<sup>(1)</sup>

وينحو أيمن أبو مصطفى منحى آخر حين يؤكد على أن بيان إعجاز القرآن لا يعني فقط بيان بلاغته بل هو إثبات للدين فيقول: "إثبات إعجاز القرآن متصل بإثبات الدين كله، وقد كان من الواضح أن مناط الإعجاز يكمن في تلك البلاغة القرآنية التي فاقت

- 3- المتأمل في الجزء الثامن والعشرين من القرآن الكريم يجده يتناول في معظمه أحداث السيرة في المجتمع المدني الذي كان حديث النشأة وفي حاجة ملحة للتربية والتقويم.
- 4- يعد الجزء الثامن والعشرون تصورا كاملا شاملا لتلك الحياة التي يريدتها الإسلام.
- 5- يغرس الجزء الثامن والعشرون هذا التصور الكامل لهذه الحياة في نفوس المؤمنين ليتحول إلى واقع ملموس.

#### سبب اختيار الموضوع

- 1- لفت الأنظار، واستتارة العقول، وشحذ الهمم نحو أسلوبية الخطاب التعليمي ووسائله في القرآن الكريم كأحد أوجه الإعجاز السياقي والأسلوبي في القرآن الكريم.
- 2- المشاركة بجهود ولو قليلة في بيان إمكانية دراسة أسلوب القرآن الكريم في منظومة الدراسات الحديثة التي يمكن أن تكشف بعضا من أسرار بلاغته.
- 3- تقديم رؤية إصلاحية تربوية للمجتمع المسلم الآن من خلال رصد المنهج القرآني في تربية المجتمع المدني إبان إقامة الدولة في المدينة المنورة.
- 4- الرغبة الملحة في إمداد المكتبة العربية والإسلامية بهذا النوع من الدراسة.

#### أهداف البحث

- 1- نيل شرف البحث في كتاب الله - عز وجل - لمعرفة مراده من خلقه.
- 2- وضع لبنة قوية نسد بها ثغرة في بناء الدراسات القرآنية من خلال دراسة الخطاب التعليمي في القرآن الكريم.

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلود الحضرمي، مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، 1984، 1/552.

ونستطيع أن نقف من خلال هذين التعريفين على المعنى المعجمي للفظ الخطاب بأنه الكلام الذي يأتي بغرض الإخبار والإفهام، وينتظم في مجموعة من الأفكار والألفاظ وتوالي العبارات، ويكون موجهاً إلى مخاطبين مدركين قيمة المعلم والرسالة في آن واحد.

2- وأما في الاصطلاح فعرفه الأمدي في الإحكام فقال: "إنه اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"<sup>(5)</sup>.

وعلى الرغم من أن الأمدي حاول أن يضع تعريفاً جامعاً مانعاً للخطاب فسماه "اللفظ" ليخرج بهذا ما كان من حركات وإشارات، فهي - في نظره - لا تعد ألفاظاً، لكننا لا نتفق معه في هذا - مع سمو قدره - إذ بالنظر إلى القرآن الكريم نجد أنه قد عدَّ الإشارة لفظاً؛ وذلك حينما فهم قوم مريم - عليها السلام - إشارتها إلى عيسى بأنها توجيه إليهم بالحديث إليه هو حينما سألوها عنه منكرين عليها فعلتها: "فَأْتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْثًا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا"<sup>(6)</sup>

ولقد جعل الله - سبحانه وتعالى - علامة قبول دعاء زكريا - عليه السلام - حين طلب من الله أن يهبه من لدنه ولياً - ألا يكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا قال تعالى: "قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ"<sup>(7)</sup>. فالرمز هنا يعني الإشارة ولقد وصفها الله سبحانه وتعالى بالكلام.

البلاغة، وعجز الإنس والجن عن الإتيان بمثلها، ومن ثم فقد سعى المفسرون والبلاغيون إلى تقديم (دلائل الإعجاز) من خلال إبراز مميزات البلاغة القرآنية وخصائصها، وكشف (أسرار البلاغة) القرآنية التي ميزتها عن بلاغة البشر<sup>(2)</sup>.

وهذا الدور للبلاغة العربية في دراسة النص القرآني إنما هو دور تفاعلي مع النص بسوره وآياته وفاضلاته؛ إذ تبحر في أعماق النص لتصل إلى مكنونه، فتعرض لصوره وتراكيبه، وتشرح مفرداته وتنوع أساليبه، وحروفه وفاضلاته بغرض أداء دورها تجاه النص القرآني بوصفه النموذج والمثال للبيان العربي بما لديه من قدرة تأثيرية في نفوس سامعيه في مختلف الفضاءات والأنساق الخطابية بطول القرآن وعرضه.

## ثانياً : الخطاب بين اللغة والاصطلاح

1- الخطاب لغة: أورد ابن منظور في لسانه أن الخطاب معناه مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان<sup>(3)</sup>. وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس: "وإنما سمي بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة"<sup>(4)</sup>.

(2) أبو مصطفى، أمين خميس، بلاغة الخطاب التعليمي والحجاجي في القرآن الكريم والحديث الشريف، دار النابغة للنشر والتوزيع 2019.

(3) ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، مادة خطب/1/360.

(4) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة: 1399هـ - 1979م. 198/2

(5) الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، القاهرة، دون ط، دار الفكر، 1401هـ، 1981م، 1/136.

(6) سورة مريم: الآيتان 27، 28

(7) سورة آل عمران: آية 41

ويورد "سوداني عبد الحق تعريفا للخطاب قاله "هاريس" في كتابه "تحليل الخطاب": "على أنه ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المهجية التوزيعية، وبشكل يجعلنا في مجال لساني محض"<sup>(12)</sup>

ولعل هذا الكلام يتوافق مع ما قاله الأمدي من وجود عنصر المفاعلة والتواصلية في الخطاب بين المخاطبين والمخاطبين.

### ثالثا: الخطاب القرآني.. السمات والخصائص الأسلوبية.

نستطيع باختصار أن نرصد أهم السمات والخصائص الأسلوبية للخطاب القرآني ومنها:

#### 1- التماسك النصي:

إن القرآن الكريم هو رسالة الله إلى خلقه، ولن يبلغ الخلق مراد الله إلا إذا نفذ كلامه إلى قلوبهم ونفوسهم، فيحرك جامدها، ويلين قاسيها، ويطمئن خائفها، ويتببت متهوكها.. ولن يكون كذلك إلا إذا امتلك سمات خاصة، وخصائص فريدة، وقد تحقق هذا، وشهد به الله - عز وجل - في قرآنه المجيد في مواضع مختلفة فقال: "لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا"<sup>(13)</sup>

وقال تعالى: " قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ

بل إن الأمر زاد عن هذا حين عمد القرآن الكريم إلى الإشارة وسأوى بين جزائها وجزاء الكلمة المنطوقة والفعل الواقع، وذلك حين توعد الهامزين اللامزين بقوله: "وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ"<sup>(8)</sup> بل سمي السورة باسم الحركة "الهمزة"! وذم سلوك المشركين في فعل هذا التغامز في سورة المطففين فقال جل شأنه: "إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَصْحَكُونَ (29) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (30) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (31)"<sup>(9)</sup>

وبعيدا عن هذا فإن الأمدي استطاع أن يحدد أركان العملية الخطابية في تعريفه والمكونة من نص لخطاب ومخاطب ومخاطب.

ومصطلح الخطاب من المصطلحات المتعارف عليها في الدراسات اللغوية إلا أنه يحظى بتعريفات متعددة فهو عند عبد الواسع الحميري "عبارة عن النسق الذهني المجرد للكلام، الذي تتكلمه بالقوة أو الفعل، إنه بتعبير آخر نظام التكلم (التفاعل) ومنطقه الذي علينا أن نلتزمه في كل موقف تواصلية على حدة"<sup>(10)</sup> أو أنه: "وحدة تواصلية تبليغية، ناتجة عن مخاطب معين موجّهة إلى مخاطب معين، في سياق معين، يدرس ضمن ما سمي بلسانيات الخطاب وهو على رأي ليتش وشورت "تواصل لساني ينظر إليه بوصفه إجراء بين المتكلم والمخاطب؛ فاعلية تواصلية يتحدد شكلها بواسطة غاية اجتماعية"<sup>(11)</sup>.

(8) الهمزة : آية 1.

(9) المطففين : الآيات: 29: 31.

(10) عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص، المفهوم - العلاقة - السلطة، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 2008م، ص36.

(11) نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)، ط1، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع-عمان-، 2009م، ص1

(12) سوداني عبد الحق، أدوات الاتساق وآليات الانسجام في قصيدة الهمزية النبوية لأحمد شوقي، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر-باتنة-، 2009/2008م، ص7.

(13) النساء: آية 166.

لِبَعْضِ ظَهِيرًا<sup>(14)</sup> وقال تعالى: "بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ  
(21) فِي لَوْحٍ مَّخْفُوظٍ"<sup>(15)</sup>

فكان خطابا فريدا في طريقتة، متفردا في صياغته، متفردا في صياغة أفكاره، نسيج وحده في عرض مبتغاه من سامعيه .. كل هذا بما حواه من عوامل التأثير المتداخلة والمتشابكة .

يقول مؤكدا على ذلك أيمن أبو مصطفى: " فأبعاد الخطاب القرآني متداخلة لا يمكن فصل أحدها عن الآخر، فلا يمكن أن ننفي البعد الجمالي عنه، أو أن نجعله حجاجيا صرفا، ولا يمكن أن نزم بأنه خطاب تعليمي فقط، فالقرآن معجز ولعل واحدا من أسباب إعجازه هو هذا التداخل والتمازج والتماسك النصي.<sup>(16)</sup>

ويأخذ مالك بن نبي طرف الحديث من أيمن أبو مصطفى بأن أسلوب القرآن امتاز بخصائص تركيبية، وصور فريدة، ولغة أسرة، وأنه "أكمل نموذج أدبي استطاعت اللغة العربية أن تفسح عنه، فليس به أدنى اختلال، بل إن الاتساق البديع شامل بجميع نواحيه في روحه الجليل الغامر، وفي نذره الرائعة المؤثرة، وفي مشاهداته الباهرة، وفي حلاوة وعوده الفائقة، وفي فكرته المتشاحمة، وأخيرا في أسلوبه البهي المعجز"<sup>(17)</sup>

## 2- الإعجاز النظمي:

ويتجلى هذا النوع من الإعجاز إذا ما نظرنا إلى ما عده من كلام العرب، خاصة الشعر والنثر، فلم يجز القرآن على

أوزان الشعر فيكون شعرا، ولم يأت ماثلا لأسلوب خطباء العرب وطريقتهم في النثر المفعم بالسجع، والمتشعب بألوان البديع. وهذا وجه من وجوه إعجازه.

وإلى هذا يشير صاحب نسيم الرياض: " الوجه الثاني من إعجازه نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب، ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه، بل حارت فيه عقولهم، وتدهمت دونه أحلامهم، ولم يعتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر"<sup>(18)</sup>

فالقُرآن - ولا شك - خارج عن المعهود مما تعارفت عليه العرب من أساليب الكلام فقد خالف جميع كلام الموزون والمتنور. وإلى هذا يشير الباقلاني مؤكدا على أن هذا التباين بين أسلوب القرآن في النظم وأساليب غيره من كلام العرب هو وجه من وجوه إعجازه فيقول: " وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد، وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم تنقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف أنواع الكلام الموزون غير المقفى ثم إلى أصناف الكلام المعدل المسجع، ثم إلى معدل موزون غير مسجع، ثم إلى ما يرسل إرسالا"<sup>(19)</sup>

(18) شهاب الدين الخفاجي، نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، وبهامشه شرح الشفا لعلي القاري. دار الكتاب العربي - بيروت. ط1، 1328هـ، 495/2.

(19) الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، سنة الوفاة 403هـ، تحقيق السيد أحمد صقر، الناشر دار المعارف، مصر، 1997م، ص 35.

(14) الإسراء: آية 88.

(15) البروج: لآيتان 21-22.

(16) أيمن أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 10.

(17) مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة أحمد عبد الصبور شاهين، دار الفكر - الجزائر ودار الفكر - سوريا، ط4،

1408هـ - 1987م ص 274.

### 3- الاتساق بين اللفظ والمعنى:

من هو أولى بذلك منه ألا ترى أن العامة ابن القرية أشهر  
عندها في الخطابة من سحبان واقل...<sup>(21)</sup>

#### 4- المعرفة الكاملة الواعية بالذات الإنسانية

فإن الله - عز وجل - هو الذي خلفها وسواها وأهمها  
فجورها وتقواها "هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ  
وَإِذْ أَنْتُمْ أَحْيَاءٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ"<sup>(22)</sup> فهو يعلم غرائزهم  
المحبة للمال والنساء والقناطير المنقطة من الذهب والفضة  
وزينة الحياة ما المال والولد والحيل المسومة والأنعام والحرب  
قال تعالى: "زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ  
وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَيْلِ  
الْمُسَوِّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ  
عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ"<sup>(23)</sup> وقال أيضا: "وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا  
جَمًّا"<sup>(24)</sup>. فخطاب القرآن مبذول لهذه النفس البشرية التي  
يعرفها جيدا، ويعرف ما يصلحها وما يفسدها فيرغبها  
أحيانا، ويخوفها ويرهبها أحيانا أخرى.  
إلى غير تلك الأساليب الأخاذة التي يضيق المقام عن  
ذكرها، فحسبنا من القلادة ما أحاط بالنعق، ومن السوار  
ما أحاط بالمعصم. ولو راح كل ذي كسنٍ ليحيط بوجوه  
إعجازه لعاد باذي العي صميئا.

#### رابعا : في رحاب جزء المجادلة

نحن أمام جزء المجادلة، وهو في معظمه يعايش أحداث  
السيرة في المجتمع المدني، مجتمع حديث عهد بنشأة  
جديدة، فهو يحتاج إلى تقويم، وتربية وتهذيب؛ ليقوم

(21) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين،  
تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة،  
الطبعة السابعة، 1418هـ، 1988م، 26/1.

(22) النجم: الآية: 32

(23) آل عمران الآية: 14

(24) الفجر، الآية: 20

وهذا من تفردات الأسلوب القرآني؛ فلا تجد لفظا بعيدا  
عن الدلالة على المعنى، بل العكس تشعر أنك لو حذف  
هذا اللفظ لن يتبين دلالة المعنى كما كان الحال مع اللفظ  
المحذوف. ومثال ذلك لفظ "ضيزى" في قول الله  
تعالى: "الْكُفْرُ وَلَهُ الْأُنثَى (21) تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ  
ضِيزَى"<sup>(20)</sup>.

فالفظة بثقل حروفها تشعرك بثقل القسمة الجائرة وظلمها  
التي أقامها المشركون بأن جعلوا لهم الذكور، وجعلوا لله  
الإناث - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا-. وإلى هذه المزية  
الأسلوبية يشير الجاحظ: "وقد يستخف الناس ألفاظا  
ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها ألا ترى أن الله -  
تبارك وتعالى - لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع  
العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا  
يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة  
وكذلك ذكر المطر لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في  
موضع الانتقام والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر  
المطر وذكر الغيث، ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه إذا ذكر  
الأبصار لم يقل الأسماع وإذا ذكر سبع سموات لم يقل  
الأرضين. ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين ولا السمع أسماعا  
؟ والجاري على أفواه العامة غير ذلك لا يتفقون من  
الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال. وقد زعم  
بعض القراء أنه لم يجد ذكر لفظ النكاح في القرآن إلا في  
موضع التزويج والعامة ربما استخفت أقل اللغتين وأضعفهما  
وتستعمل ما هو أقل في أصل اللغة استعمالا وتدع ما هو  
أظهر وأكثر. ولذلك صرنا نجد البيت من الشعر قد سار ولم  
يسر ما هو أجود منه وكذلك المثل السائر وقد يبلغ الفارس  
والجواد الغاية في الشهرة ولا يرزق ذلك الذكر والتنويه بعض

(20) النجم : آية 21-22

وينهض بتبعات المهمة التي ستلقى على عاتقه، تلك المهمة الربانية التي كلفه الله بها.

وحق ينهض هذا المجتمع بهذا الدور وهذه المهمة لا بد من وجود تصور شامل للحياة الجديدة في ظل الدين الجديد، ثم تحويل هذا الواقع المتصور إلى واقع حقيقي في نفوس أولئك المؤمنين، وهذا كله يحتاج إعدادا كاملا ضخما سيكون الخطاب القرآني أحد أركانه. "ونحن نشهد في هذه السورة - وفي هذا الجزء كله - طرفا من تلك الجهود الضخمة، وطرفا من الأسلوب القرآني كذلك في بناء تلك النفوس، وفي علاج الأحداث والعادات والنزوات؛ كما نشهد جانبا من الصراع الطويل بين الإسلام وخصومه المختلفين من مشركين ويهود ومنافقين" (25).

#### ● الخطاب التعليمي في سورة المجادلة

يبين الطاهر بن عاشور أحد أغراض الخطاب التعليمي في سورة المجادلة وهو يشرح أسباب النزول فيقول: "هذا وإن القرآن كتاب جاء لهدي أمة والتشريع لها، وهذا الهدي قد يكون واردا قبل الحاجة، وقد يكون مخاطبا به قوم على وجه الزجر أو الثناء أو غيرهما، وقد يكون مخاطبا به جميع من يصلح لخطابه، وهو في جميع ذلك قد جاء بكليات تشريعية وتهديبية، والحكمة في ذلك أن يكون وعي الأمة لدينها سهلا عليها، وليمكن تواتر الدين، وليكون لعلماء الأمة مزية الاستنباط، وإلا فإن الله قادر أن يجعل القرآن أضعاف هذا المنزل وأن يطيل عمر النبي - صلى الله عليه وسلم - للتشريع أكثر مما أطال عمر إبراهيم وموسى، ولذلك قال تعالى: (وأتممت عليكم نعمتي)، فكما لا يجوز حمل كلماته على خصوصيات جزئية لأن ذلك يبطل مراد الله، كذلك لا يجوز تعميم ما قصد منه الخصوص ولا إطلاق ما قصد منه التقييد؛ لأن ذلك قد يفضي إلى التخليط في المراد أو إلى إبطاله من أصله، وقد اغتر بعض الفرق بذلك. قال ابن سيرين في الخوارج: إنهم عمدوا إلى آيات الوعيد النازلة في

(25) قطب، سيد، المرجع السابق.

المشركين فوضعوها على المسلمين فجاءوا ببدعة القول بالتكفير بالذنب، وقد قال الحرورية لعلي رضي الله عنه يوم التحكيم (إن الحكم إلا لله) فقال علي كلمة حق أريد بها باطل وفسرها في خطبة له في نصح البلاغة" (26).

وتستهل السورة أحداثها وخطابها التعليمي للمؤمنين بجملة خبرية "قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ" (27)

والخطاب رغم أنه بصيغة المفرد للنبي - صلى الله عليه وسلم - لكنه خطاب تربوي للجماعة المسلمة وعلى رأسها النبي - صلى الله عليه وسلم - يعلمهم الله ويأطرحهم فيه على الوثوق به، والاعتماد عليه فهو الذي يعلم السر وأخفى، علم ما دار بينه وبين المرأة التي جاءت تشكو إليه زوجها بصوت صعب على عائشة - رضي الله عنها - سماعه، لكن الله سمعه وأنزل فيه قرآنا ليعلن عن تدخل السماء في أمر الأرض، لكن أي أمر؟ إنه شأن أسرة فقيرة مجهولة الشأن؛ لتمتلى قلوب المؤمنين إيمانا وتزداد نفوسهم سكينه، فخالقهم لا يترك شأن امرأة من عوامهم؛ أفيتركهم للمجهول بعد أن حملوا دعوته واتبعوا نبيه؟! أو كما يقول سيد: "وإنه لأمر إنه لأمر أن يقع مثل هذا الحادث العجيب؛ وأن تشعر جماعة من الناس أن الله هكذا معها، حاضر شؤونها، جليلها وصغيرها، معني بمشكلاتها اليومية، مستجيب لأزماتها العادية" (28).

فيا لها من صورة تملأ القلب إجلالا وتعظيما للخالق - سبحانه وتعالى - حين يستحضر معية الله في كل وقت، والسورة لا تكاد تخلو من المؤكدات على هذا المعنى "وَاللَّهُ

26 - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير .

الطبعة التونسية، دار سحنون للنشر والتوزيع -

تونس - 1997 م، 50/1.

27 - المجادلة، الآية: 1

28 - سيد قطب، المرجع السابق، 144/7



شَيْءٍ عَلِيمٌ" وهي تمثل صورة ملموسة مشاهدة لاطلاع الله على جميع خلقه مؤمنهم وكافرهم حتى: "مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"<sup>(34)</sup> ويستمر تنوع الخطاب التعليمي باستعمال أسلوب النداء المقترن بالنهي مع الوصف بالإيمان فقال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ"<sup>(35)</sup> وهو "خطاب للمؤمنين الخالص بأن وجهه الله الخطاب إليهم تعليماً لهم بما يحسن من التناجى وما يقبح منه بمناسبة ذم تناجى المنافقين فلذلك ابتدء بالنهي عن مثل تناجى المنافقين وإن كان لا يصدر مثله من المؤمنين تعريضاً بالمنافقين"<sup>(36)</sup>

إن الآية تهدف في خطابها التعليمي إلى الالتزام بالأخلاق العامة وتذكر الدور المنوط بهذه الفئة المسلمة التي تمثل طليعة الدولة الإسلامية، فلا ينبغي أن يكون هناك تناجى في أي أمر من أمور الدين والدولة إلا بعد الرجوع إلى القيادة العليا ممثلة في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويوجههم إلى ما يليق بهم من البر والتقوى، وخلاف ذلك يؤدي إلى الفوضى وفقد الهوية ثم ضياع الهدف والمسؤولية، فالإيمان الذي في قلوبهم رادع لهم عن الخوض فيما يغضب الله ورسوله. ثم يتكرر الخطاب التعليمي بأسلوب النداء مقترنا بالأمر بالإفصاح في المجلس "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ"<sup>(37)</sup> وفيه من تأكيد السمع والطاعة من المؤمنين لاسيما إذا كان

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" "إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"<sup>(29)</sup>  
بهذا يأوي المؤمن إلى ركن شديد وحاله:

وإذا العناية لاحظتك عيونها... فالمخاوف كلهن أمان

ومن الخطاب التعليمي في السورة الأسلوب الخبري عن المنافقين والكافرين في المدينة وما حولها يكشف زيفهم، ويظهر كذبهم، وفي الوقت ذاته يؤكد خذلانهم وضياعهم، وهو خطاب تعليمي للمؤمنين بالأمان يتقوا فيهم ما داموا يجادون الله ورسوله: "إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَبِتُوا كَمَا كَبَتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (5) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ"<sup>30</sup> "إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ"<sup>(31)</sup> إنهم أعداء الأمة في كل زمان وعلى الأمة أن تحذرهم وألا تتخدد بحيلهم، و"لما جرى ذكر الكافرين وجرى ذكر حدود الله وكان في المدينة منافقون من المشركين نقل الكلام إلى تهديدهم وإيقاظ المسلمين للاحتراز منهم"<sup>(32)</sup>. وعدم موالاتهم كما جاء في آخر السورة: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ"<sup>(33)</sup>

وتنوع السورة الخطاب التعليمي من الخبري إلى الإنشائي الاستفهامي: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ

29 المجادلة، الآية: 6، 7

30 المجادلة، الآيتان 5، 6

31 المجادلة، الآية: 20

(32) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير . الطبعة

التونسية 23/28.

(33) المجادلة، الآية: 14

(34) المجادلة، الآية: 7

(35) المجادلة، الآية: 9

(36) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير . الطبعة

التونسية 33/28.

(37) المجادلة، الآية: 11

المر من القائل فقد نزلت هذه الآية في مجالس الذكر، وقيل في مجالس القتال.

ثم تأتي الآيات المتتابعة التي تتعلق بالأدب في مناجاة الرسول: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤَاكُمُ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (12) أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤَاكُمُ صَدَقَاتٍ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (13) (38)

#### ● الخطاب التعليمي في سورة الحشر

السورة مدنية بالاتفاق، كان نزولها عقب إخراج بني النضير من بلادهم سنة أربع من الهجرة .

السياقات الخطابية التعليمية في السورة

هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَّتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (2) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبْتُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (3) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (4) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَبَنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيخْرِي الْفَاسِقِينَ (5) وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6) مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ" (39)

الأساليب الخبرية المنتشرة في طول السورة قصدت إلى " ذكر ما أجراه المسلمون من إتلاف أموال بني النضير وأحكام ذلك في أموالهم وتعيين مستحقيه من المسلمين. وتعظيم شأن المهاجرين والأنصار والذين يجيئون بعدهم من المؤمنين وكشف دخائل المنافقين ومواعيدهم لبني النضير أن ينصروهم وكيف كذبوا وعدهم" (40).

والسورة تعرض لمحاولة الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي الذي حاول النبي فعله لاسيما بعد أن هاجر المهاجرون إلى المدينة تاركين أموالهم وتجاراتهم؛ فلما جاءت هذه الغنيمة أراد النبي أن يقيم ما اعوج من الميزان الاجتماعي فيجب أن يكون للفقراء مال كما للأغنياء مال، ولكن يبدو أن بعضهم تكلم في هذه القسمة والأرجح أنهم المنافقون. وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للأنصار: «إن شئتم قسمتتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة. وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم، ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة» فقالت الأنصار: بل نقسم من أموالنا وديارنا ونوثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها. وفي هذا نزل قوله تعالى: { لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (8) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (41).

إنه أسلوب القرآن الفريد في التعليم والتربية عن طريق التربية بالموقف، والتقويم بالأحداث فهو كما يقول صاحب الظلال: " فهذا هو الحادث الذي نزلت فيه هذه السورة،

(40) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير. الطبعة

التونسية 63/28

(41) سيد قطب، المرجع السابق، 7/158 الحشر، آيتان 8،

(38) المجادلة، الآية: 12-13

(39) الحشر، الآيات: 2-7

منتصف الطريق. ثم يعود الخطاب ليكرر المعنى ذاته في ختام السورة " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَمْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَمَسُّ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ " (44)

وعلى هذا المنوال يسير باقي الجزء الثامن والعشرين في الخطاب التعليمي الذي يهدف إلى تربية الصف المسلم تربية تؤهله للنهوض بدوره الرباني الذي قدره الله له، والذي يتطلب أن يكون المؤمنون صفا واحدا كالبنيان المرصوص كما في سورة الصف: " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ " (45)، وأن يكون هذا الصف في نصرة الله ودينه " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ... " (46) وتحذيرهم من أن يكونوا كاليهود الذين حملوا التوراة ولم يقيموا ما فيها " مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ " (47) وعلى هذا سارت بقية سور الجزء.

#### الخاتمة والنتائج

وبعد، فقد حاول البحث في هذه الصفحات أن يتتبع أسلوبية الخطاب التعليمي للقرآن في الجزء الثامن والعشرين (المجادلة) وقد خرج البحث بعدة نتائج أهمها:

- 1- يأتي الخطاب التعليمي في القرآن بما يحمله من أساليب متعددة، ووسائل متنوعة؛ ليحقق غايات مثلى، وأهدافا كبرى متخذة لذلك طرائق قdda.

وتعلقت به نصوصها، بما في ذلك خاتمة السورة التي يتوجه فيها الخطاب للذين آمنوا ممن شهدوا هذا الحادث وممن يعرفونه بعد ذلك. على طريقة القرآن في تربية النفوس بالأحداث وبالتعقيب عليها، وربطها بالحقائق الكلية الكبيرة... ثم الإيقاع الأخير في السورة بذكر صفات الله الذي يدعو الذين آمنوا ويخاطبهم بهذا القرآن. وهي صفات ذات فاعلية وأثر في هذا الكون؛ وعلى أساس تصور حقيقتها يقوم الإيمان الواعي المدرك البصير" (42).

#### ● الخطاب التعليمي في سورة الممتحنة

سورة الممتحنة إحدى سور القرآن الكريم المدنية، أي نزلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المدينة المنورة بعد الهجرة، نزلت بعد سورة الأحزاب.

وتعددت في السورة الخطابات التعليمية للمؤمنين بعدم موالاة أعداء الله بغض النظر عن علاقتهم بهم وذلك كان بعد قيام حاتم بن أبي بلتعة بإرسال رسالة إلى المشركين يخبرهم بما ينوي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعله لكنه كشف سره، وذاق عاقبة أمره. فقال تعالى في شأنه: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا بِاللَّهِ رَبًّا إِنْ كُنْتُمْ تُخْرَجُونَ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ " (43)

فالأساليب متنوعة في الآية بين الأمر والنهي والنداء ثم الأساليب الخبرية ثم التهديد والوعيد؛ وذلك ليقطع الطريق أمام صلات المودة والقرابة؛ حتى لا تكون دافعا لموالاة أعداء الله - عز وجل -. وفي ذلك تربية للصف المؤمن وتذكير بالمفاصلة التي يجب أن تكون بينه وبين غيره من الكافرين والمنافقين فليس ثمة نقطة التقاء ولو حتى في

(44) الممتحنة، آية: 13

(45) الصف، آية: 4

(46) الصف، آية: 14

(47) الجمعة، آية: 5

(42) السابق 158/7.

(43) الممتحنة، آية: 1

الجمالية التأثيرية، والتي في النهاية تؤدي وظيفة الخطاب التواصلية؛ وذلك من خلال تنوع أساليبه بين الخبرية والإنشائية في الخطاب التعليمي، الاعتماد على نسق التكرار وما يضيفه من التوكيد والتأثير في نفوس المتلقين، مع زمرة من المؤكيدات المتنوعة، فضلا عن جملة من جمل الربط، وثلة من الأفعال الماضية والمضارعية، إضافة إلى بعض استراتيجيات الخطاب للإقناع والإمتاع .

#### المصادر والمراجع

##### • القرآن الكريم

1. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلون الحضرمي، مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، 1984.
2. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة: 1399هـ - 1979م.
3. ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري لسان العرب، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى.
4. أبو مصطفى، أيمن خميس، بلاغة الخطاب التعليمي والحجاجي في القرآن الكريم والحديث الشريف، دار النابعة للنشر والتوزيع 2019.
5. الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، القاهرة، دون ط، دار الفكر، 1401هـ، 1981م .
6. الباقلائي، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي، إعجاز القرآن، سنة الوفاة 403هـ، تحقيق السيد أحمد صقر، الناشر دار المعارف، مصر، 1997م.

2- اشتمل الجزء على أوامر ونواه، وحض وكف، وطمع وخوف، وإجبار وتخيير، ووعيد وتذكير، ومثانٍ، ومتشابهات، وأمثال؛ لتشكل في النهاية منهجا متكاملا للخطاب التعليمي ووسائله وغاياته.

3- ارتبطت البلاغة بالقرآن الكريم منذ الوهلة الأولى لنشأتها بوصفها الطريق لكشف إعجازه، وفهم مراميه، ودافعا للكتابة والتأليف والتصنيف. وما تصانيف البلاغة الأولى بعبدة عنا كتصنيف أبي عبيدة معمر بن المثنى ومصنفه "مجاز القرآن"، وابن قتيبه ومصنفه "تأويل مشكل القرآن" وما كانت هذه المحاولات إلا لكشف جماليات النص القرآني الذي نزل بلغتهم التي كانوا عليها.

4- الدور للبلاغة العربية في دراسة النص القرآني إنما هو دور تفاعلي مع النص بسوره وآياته وفاصلاته؛ إذ تبحر في أعماق النص لتصل إلى مكنونه، فتعرض لصوره وتراكيبه، وتشرح مفرداته وتنوع أساليبه، وحروفه وفاصلاته بغرض أداء دورها تجاه النص القرآني بوصفه النموذج والمثال للبيان العربي بما لديه من قدرة تأثيرية في نفوس سامعيه في مختلف الفضاءات والأنساق الخطابية بطول القرآن وعرضه.

5- إن الآيات في الجزء الثامن والعشرين تهدف في خطابها التعليمي إلى الالتزام بالأخلاق العامة وتذكر الدور المنوط بهذه الفئة المسلمة التي تمثل طليعة الدولة الإسلامية.

6- أسلوبية الخطاب التعليمي في القرآن تميزت بعدة خصائص من واقع الوقوف على جزء المجادلة؛ ومنها تلك التي تخرج بالخطاب عن وظيفته الإبلاغية الإخبارية، إلى وظيفته

7. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة السابعة، 1418هـ، 1988م.
8. سوداني عبد الحق، أدوات الاتساق وآليات الانسجام في قصيدة الهمزية النبوية لأحمد شوقي، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر - باتنة-، 2009/2008م.
9. شهاب الدين الخفاجي، نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، وبهامشه شرح الشفا لعللي القاري. دار الكتاب العربي - بيروت. ط1، 1328هـ.
10. عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص، المفهوم - العلاقة - السلطة، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 2008م، ص36.
11. قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة.
12. مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة أحمد عبد الصبور شاهين، دار الفكر - الجزائر ودار الفكر - سوريا، ط4، 1408هـ - 1987م.
13. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير. الطبعة التونسية، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - 1997 م .
14. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب) دراسة معجمية (، ط1، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع - عمان -، 2009م، ص1